

حركة القرصنة البحرية في عهد يوسف باشا القره مانلي ١٧٩٥-١٨٣٥ Piracy during the reign of Yusuf Pasha Karamanli 1795-1835

الباحثة خديجة سالم سعيد حنيش*

Khadija Salim Said Hneich*

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على حركة القرصنة البحرية في عهد الأسرة القرمانلية، وخصوصًا في أوج قوتها على عهد يوسف باشا القرمانلي، والتعرف على الموقف الدولي من هذه الحركة. واستخدم البحث المنهج الوصفي والتحليلي. وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث، تناول الأول التعريف بحركة القرصنة البحرية، وشرح الثاني طبيعة هذه الحركة في زمن يوسف القرمانلي، وأشار الثالث إلى آثار حركة القرصنة البحرية، وخصص الرابع لإبراز الموقف الدولي حيال حركة الجهاد البحرية. وقد خرج البحث بمجموعة من النتائج أبرزها إن الوصف الصحيح الذي يمكن أن توصف به أعمال الغزو والحرب البحرية غير النظامية التي كان بحارة شمال أفريقيا يقومون بها، والتي يسميها الكثيرون بالقرصنة، هي في الواقع لوثًا من الحرب الدينية من جهة ودفاعًا عن الوطن من جهة ثانية. وأن هذا الصراع البحري بين دول الساحل الجنوبي والساحل الشمالي للبحر المتوسط ترك آثارًا كثيرة على الجوانب الحياتية لبلدان الشمال الأفريقي وخصوصها. ونظرًا لتواصل أعمال الغزو، فقد قررت الدول المعنية والتي طالتها يد هذه الغزوات الاجتماع في مؤتمر دولي لمناقشة مسألة الأمن في البحر المتوسط وقررت تأليف أسطول دولي لوضع حد للغزو فيه.

الكلمات المفتاحية: حركة القرصنة البحرية، يوسف باشا القرمانلي، الدولة القرمانلية، طرابلس الغرب، ليبيا.

Abstract:

This research aims to explore the maritime piracy movement during the Karamanli dynasty, particularly at the height of its power under Yusuf Pasha Karamanli, and to examine the international stance on this movement. The research uses a descriptive and analytical approach. It was divided into four sections. The first dealt with defining the maritime piracy movement, the second explained the nature of this movement during the time of Yusuf al-Qaramanli, the third pointed to the effects of the maritime piracy movement, and the fourth was

* طالبة ماجستير - جامعة الزاوية - ليبيا.

Email: Aperalgdafa69@gmail.com

* University of Zawiya – Libya.

devoted to highlighting the international position regarding the maritime jihad movement. The research yielded a set of results, the most prominent of which is that the correct description of the acts of invasion and irregular naval warfare carried out by North African sailors, which many call piracy, is in fact a form of religious war on the one hand and a defense of the homeland on the other. This maritime conflict between the countries of the southern and northern coasts of the Mediterranean left significant repercussions on the lives of North African countries and their adversaries. Given the ongoing invasions, the affected countries decided to meet in an international conference to discuss security in the Mediterranean and formed an international fleet to put an end to the invasion.

Keywords: Piracy, Yusuf Pasha Karamanli, Karamanli State, Tripoli, Libya.

المقدمة:

تمثل ظاهرة الحرب الدينية، أو ما اصطلح المؤرخون الغربيون على تسميته بالقرصنة، أهمية كبيرة في تاريخ المنطقة المحيطة بالبحر المتوسط باعتبارها تشكل نقطة تحول في تاريخ بلدان شمال أفريقيا وفي مقدمتها تاريخ ليبيا الحديث، الذي اقترن بظاهرة الصراع الإسلامي المسيحي في حوض البحر المتوسط منذ مطلع القرن السادس عشر، عندما برز الأسباب يدافعون عن المسيحية، وظهور الدولة العثمانية على رأس القوى الإسلامية كمدافع عن الإسلام.

وعندما تولت الأسرة القرمانلية الحكم في ليبيا عام ١٧١١م شهدت المنطقة تغييراً في موازين القوى البحرية، وخصوصاً عندما وصل يوسف باشا إلى الحكم، الذي حتمت عليه الظروف حينها أن يجابه الأساطيل الأجنبية.

ولا شك أن هذه الظاهرة التي تمثل أهمية في تاريخ شعوب المتوسط بصفة خاصة، والعالم بصفة عامة، أمر لافت للانتباه وموضوع جدير بالبحث والدراسة لما له من أهمية للباحثين في تاريخ تلك الحقبة الزمنية.

ومن الأسئلة التي تفرض نفسها في هذا الجانب، لماذا تم اختيار هذا الموضوع ؟ للإجابة نشير:

أهمية دراسة موضوع القرصنة باعتبارها نقطة بارزة في تاريخ بلدان الشمال الإفريقي.

وجرياً على المنهج المتبع في البحث العلمي والعرف الأكاديمي، قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع:

تضمن المبحث الأول دراسة لمفهوم القرصنة ومعانيها وبدايات الجهاد البحري لبلدان الشمال الأفريقي في العصر الحديث، وأعطى المبحث الثاني لمحة عن هذه الحركة في عهد يوسف باشا القرمانلي. وخصص المبحث الثالث للحديث عن آثار حرب الجهاد البحرية، وعرض المبحث الرابع الموقف الدولي حيال استمرار الغارات البحرية لدول الشمال الأفريقي.

وقد اعتمدت هذه الدراسة منهجاً وصفيّاً لا يخلو أحياناً من تحليل بعض الجوانب، وفي واقع الأمر إن دراسة هذا الموضوع وبحثه لم تكن سهلة بالنظر إلى تشابك الموضوع وتعدد جوانبه، زد على ذلك طول الفترة الزمنية سواء التي امتدت فيها هذه الحركة أو المدة المحددة في هذه الدراسة، زد عامي ذلك قلة المراجع التي تناولت الموضوع بحياد وموضوعية، مما يجعل أمر الفصل بين القرصنة والجهاد البحري صعباً مقارنة بحجم الحركة وأثارها الكبيرة.

وليمكن القارئ من الاطلاع على هذه الدراسة لابد من الإشارة إلى أن البحث قد استفاد من بعض المراجع الواردة فيه استفادة كبيرة، خاصة المرجع الذي غطى فترة زمنية طويلة من تاريخ الأسرة القرمانلية متتولاً إياها بتفصيل تاريخي جيد، وقد أمد البحث بمعلومات قيمة عن الموضوع خاصة فيما يتعلق بالمؤتمرات الدولية الخاصة بإنهاء الغارات البحرية.

كما استفاد البحث من بعض الكتب المعربة الواردة فيه، إذا كانت غزيرة بالمعلومات التي استفدت منها كثيراً وأن كان أكثرها قد لون بلون مسيحي واضح وتحيز إلى الجانب الأوروبي.

كما كان للمقالات المنشورة في بعض المجلات جانب كبير في توفير هذه الاستفادة، إذ كانت مفيدة ومليئة بالملاحظات القيمة عن الموضوع، هذا إلى جانب المراجع الأخرى الواردة في قائمة المراجع والتي سجلت قيمتها ومدى الاستفادة منها كان كبيراً أيضاً، وأن كان يعاب على بعض هذه المراجع أنها لم تغطي كافة الموضوع، لان محتوياتها اقتصررت جلها على الجانب السياسي لدويلات الشمال الأفريقي لكنها أضفت عليه طابع الشمولية وساهمت في إخراجها بشكله النهائي.

أما الخاتمة فقد تم استعراض أهم النتائج التي توصل إليها البحث، هذا ويظل بالموضوع نواقص وثغرات قد تستكمل مستقبلاً في دراسة متطورة والكمال لله وحده.

المبحث الأول: الصراع البحري جهاد أم قرصنة:

شهد حوض البحر المتوسط في القرن السادس عشر الميلادي تطورات كبيرة وتشكلت في هذه الرقعة الفسيحة من العالم موازين القوي المطلّة عليه من جديد وتجدد الصراع بين الشرق والغرب، ولكن هذه المرة برز مصطبغاً بالدين، فبعد سقوط القسطنطينية ١٤٥٣ تابع العثمانيون حملاتهم الإسلامية في شرق أوروبا وشرق المتوسط، وبعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ تابع الأسبان حملاتهم المسيحية على السواحل المغربية، وانشئوا مستعمراتهم على المدن الساحلية، فنقل العثمانيون نشاطهم إلى مواجهة هذا المد الإسباني باسم المسيحية على سواحل الشمال الإفريقي، واتخذ الصراع شكلاً أو لوناً بحرياً (جحيدر، ١٩٨٨، ٤١٤)، ونظراً لأن بلدان شمال أفريقيا تطلع بالقسط الكبير في هذا الصراع وتتعرض لهجمات أساطيل الدول المسيحية لذلك فقد اشتهرت آيالات الشمال الإفريقي بأساطيلها الحربية ونشاطها المتزايد في هذا الصراع، الذي يصير كثير من المؤرخين الغربيين ويجاريهم في ذلك بعض المؤرخين العرب على تسميته (بالقرصنة) ولن نتمكن من فهم الحركة دون أن نحدد مصطلح الكلمة ومعناها وإعطاء ولو لمحة بسيطة على نشأة وتاريخ الجهاد البحري.

القرصنة ما معنى هذه الكلمة ومن أين اشتقت مدلولها ؟

اشتقت كلمة القرصنة من كلمة (Coursaires) التي تعني التسابق البحري وإن كان الكثيرون قد أعطوها معنى كلمة (Piraterie) والتي تعني الشخص الذي يقوم بأعمال القرصنة (يحيى، ١٩٧١، ٢٠).

القرصان في الإيطالية (Corsaro) أي لص البحر، عن اللاتينية (Cursaius)، المشتقة من فعل بمعنى جرى، يجري، لأن البحارة كانوا يهربون بعد نهب السفينة وبنّت العربية منها فعل قرصن والقرصنة (حسن، ٢٠٠٠، ج ١، ٦٤).

فالقرصان هو الشخص الذي يهاجم بدون تمييز سفن أي دولة ونهب أشياءها بكل حرية ودون الاعتراف بأي سلطة فوق أراذته الخاصة (وولف، ١٩٨٧، ٤٣)، ودون مراعاة لمصالح مواطنيه ودون اهتمام بالمخاطر التي قد يتعرض لها بسبب خطورة هذه المهنة. وعادة ما يحترف القرصنة أشخاص أرغمتهم الظروف على حياة الغربة والتشرد، وقد يحترفها أناس يميلون إلى حياة الاستقرار (مانغروني، ١٩٩٢، ٤٥).

إذن فالقرصنة، مفهوم غربي يقابله "الجهاد البحري" لدى العرب والمسلمون وهو أسلوب فرضته طبيعة المرحلة عن العلاقات الدولية في تلك الفترة، إذا يبدو أن هذه الكلمة التي يكثر استعمالها في الفترات الحربية قد دخلت إلى العربية عن طريق الأندلس، أيام الصراع بين الطرفين (حسن، ٢٠٠٠، ج ١، ١٨٦).

قد يكون من المناسب هنا وضع تعريف لقاطع الطريق ولرياس البحر حتى بتسنى التمييز بينهما وبين القرصان لتوضيح الصورة أكثر حول هذه الحركة:

رياس البحر، هم أشخاص موكلين من غيرهم للقيام بمهمة مهاجمة السفز ونهب محتوياتها، كما أنهم لا يشنون حرباً إلا على أعداء أميرهم متخذين طابع الشريعة لنشاطهم هذا (وولف، ١٩٨٧، ٤٣).

أما قاطع الطريق البحري (Pirata)، فقد تعددت آراء المؤرخين لهذه الكلمة فمنهم من عرفه بأنه إنسان خارج عن القانون، ومنهم من قال إنه الشخص الذي يمارس حرفة اللصوصية في البحر "ولعل أوضح تعريف لقاطع الطرق البحرية. وأحدثه، ما أورده قاموس غازانتي ونصه: هو الشخص الذي يجوب البحار لاغتصاب السفن مهما كانت جنسياتها ويمارس أعمالاً إجرامية بطول الساحل (التائب، ١٩٩٠، ١٧٨).

لغويًا يبدو أن لفظة (pirata) مشتق من كلمة لاتينية مركبة من المقطع الإغريقي pea وتعني مخاطرة أو مجازفة والمقطع اللاتيني Ta، الدال على النسبة وقد يكون مشتقًا من لفظ إغريقي آخر مقارب له هو peiran والتي تعلي الشخص الذي يجرب المخاطر، وفي الإيطالية قاطع الطريق هو اللص البحري الذي يعرض نفسه للأخطار وتسمى pirata تمييزًا له عن القرصان (التائب، ١٩٩٠، ١٧٩).

هذه تعاريف القرصنة وقطاع الطريق التي أوردها المؤرخون استنادًا على ما جاء في القواميس والمعاجم الأجنبية، في حين لم أجد لها معنى أو بالأحرى لم أجد ذكر في قواميس ومعاجم العرب المتوفرة لدينا.

من خلال هذه التعريفات، يمكن ملاحظة أن هناك اختلافًا في الاسم بين القرصان وقاطع الطريق وتقاربًا أو تشابهًا في المهنة المتمثلة في ركوب المخاطر والسلب والاعتداء على السفن ونهب ما عليها من أشياء.

في أوائل ق ١٧م حين اشتد الصراع بين المسيحية والإسلام في البحر المتوسط أصبح البحارة يحاربون إما باسم الصليب وإما باسم الجهاد، وعندما دخلت السفن المسماة بالمردية ذات الأشرعة الطويلة، البحر وأزاده هذا الصراع حدةً وتعصبًا أصبح من الصعب التمييز بين القرصنة وأي نشاط آخر (وولف، ١٩٨٧، ٤٣-٤٤).

أما تاريخ الجهاد البحري في المنطقة فيمكن تحديده وإرجاعه إلى سنة 1492م، إذ بسقوط الأندلس بدأ الأسباب بإزالة كل أثر إسلامي وأرغموا المسلمين على اعتناق المسيحية، لذلك فر هؤلاء إلى المغرب العربي، فكان الأسباب يتعقبونهم ويغرقونهم بأمعتهم في البحر، ومن هنا كانت أصوات استغاثة هؤلاء المسلمين تصل إلى المغرب العربي، فكان سكان دوله يسارعون إلى نجدهم.

فدخلوا في صراع مرير مع الأسباب والبرتغاليين واشتد الخطر المسيحي الغربي على المغرب العربي، واستولى الأسباب والبرتغاليون على عدد من الثغور المغربية والموانئ المهمة، وذعر المسلمين واضطربوا بسبب توالي الانتصارات الصليبية المسيحية وتزايد عدد الأندلسيين الفارين (غرايبة، ١٩٨٧، ٣٦).

كان استيلاء الأسباب على مدن عديدة في المغرب والجزائر وتونس وطرابلس الغرب تحقيقاً لوصية ملكتهم (إيزابيلا) التي حثتهم ليس بالاكتماء فقط بإخراج المسلمين من الأندلس بل محاربتهم في بلادهم في المغرب العربي، ثم دارت المعارك بين أبناء المغرب من جهة وبين الأسباب والبرتغال من جهة أخرى، تلك المعارك التي أطلق عليها الأوروبيون اسم (القرصنة)، وهي في حقيقتها جهاد بحري إسلامي وظهر الصراع واضحاً بين الأسباب والبرتغال وبين المغرب العربي باحتلال البرتغال لسبتة ١٤١٥ وأصيلة ١٣٧١ مثلاً، واحتلال الأسباب المرسى الكبير في الجزائر سنة ١٥٠٥ ووهران وبجاية سنة ١٥١٠ وطرابلس الغرب ١٥١٠ (العيدروس، ٢٠٠١، ٩٤).

أمام هذا المد المسيحي والغزو والاحتلال، كان طبيعي أن يقوم أبناء هذه المناطق بالدفاع عن سفنهم التجارية وعن سفن إخوانهم المهاجرين وصد الهجوم المسيحي عن بلادهم ورد اعتدائه لذلك فقد تطلب الأمر ظهور قيادات يمكنها مواجهة هذا المد المسيحي ومقاومته بشتى الوسائل (أبو عجيبة، ١٩٩٧، ٣٦)، ولو اضطرتهم الأحوال إلى استعمال نفس سلاح المعتدي من أجل شل حركته والاستيلاء على وسائل نقله البحرية وما تحمله من بضائع وأمتعة أو حتى إتلافها بالإغراق أو الحرق من أجل فك سراح الأسرى المسلمين المحاربين في الأندلس والأخذ بالثأر لما لحق بهم من تعذيب (التائب، ١٩٩٠، ١٨٧).

في هذا الإطار بجدر الإشارة إلى بروز أسماء عديدة من رجال البحر المسلمين الذين قادوا حركة الجهاد البحري ضد اعتداءات السفن المسيحية لعل أبرزهم الأخوين برباروسا، درغوت، العلي، وغيرهم.

وللتوضيح أكثر نحاول فيما يلي تقسيم غزوات دويلات الشمال الإفريقي إلى مراحل حتى يتسنى التمييز بين القرصنة وبين حركة الجهاد البحري:

١. المرحلة الأولى: مرحلة البطولة منذ عام ١٥٨٠-١٥١٧م.
٢. المرحلة الثانية: منذ منتصف ١٥٨٠ وحتى منتصف القرن ١٧ والتي سميت بالمرحلة التجارية لأنها اتسمت بالطابع الاقتصادي.
٣. المرحلة الثالثة: منذ منتصف القرن ١٧ حتى ١٨٣٠م حيث أخذت أعمال الغزو في إنشاء هذه المرحلة في التناقص تدريجياً خصوصاً منذ ١٨٢٠م، وفي أثناء هذه المرحلة كانت سيطرة الدولة على هذا القطاع تكاد تكون شاملة (الشركسي، ١٩٨٢، ١٩٨).

المبحث الثاني: القرصنة في عهد يوسف باشا القرماني ١٨٣٢ - ١٧٩٥م:

يعتبر الأسطول البحري الطرابلسي في عهد الأسرة القرمانية مظهرًا من مظاهر القوة ومن العوامل الأساسية التي استطاعت بها طرابلس خلال فترة حكم هذه الأسرة فرض سيادتها على جانب كبير من حوض البكر المتوسط وإملا شروطها على الدول الأجنبية (أبو عجيلة، ١٩٩٧، ١٣٠).

في مطلع عهد يوسف باشا ١٧٩٥- ١٩٣٢م، شهدت البلاد تطورًا اقتصاديًا ملحوظًا واستتبًا في الأمن وذلك نتيجة لاهتمامه بتجارة البر والبحر (الحري، ١٩٨٥، ٨٣)، فقد اهتم يوسف باشا بتقوية الأسطول وتحسين ميناء المدينة فأنشأ عدة أبراج في مواقع متباعدة من سور الميناء، وقام بتحسين القلعة والأسوار وتزويدها بالمدافع وشجع رجاله للعمل في البحرية، وأعفاهم من الضرائب والخدمة العسكرية، فتزايد عددهم فيها في وقت قصير وأصبح أسطوله قوي قادر على الإتاوات المالية ضد العديد من الدول الأوروبية والولايات المتحدة (الجمال، ١٩٩٧، ١٣٥؛ سلطان، د.ت، ٤٢٣).

اتسعت قاعدة النشاط البحري في ولاية طرابلس الغرب حتى أصبحت بمرور الزمن قوة مرهوبة الجانب، ولم يكد يمر وقت طويل حتى أصبح للولايات قوة بحرية تتألف من مجموعة من السفن والمراكب والزوارق المهواة من السلطان أو المشتراة أو التي تم الاستيلاء عليها واغتنامها، ومن عدد كبير من الزوارق والسفن الصغيرة المسلحة بالمجانيق، وقد بلغ عدد الأسطول في عهد يوسف ثلاثة عشر سفينة يبلغ طاقم كل منها ثلاثين أو أربعين رجلاً.

وقد كانت الغارات البحرية أهم جانب في النشاط الذي يقوم به الأسطول الطرابلسي، فضلاً عن أنه يقوم بمهنة حراسة الشواطئ الطرابلسية والدفاع عنها وقت الحرب والسلم، فقد ظل يشغل كقوة لها تأثيرها ونفوذها

على الدول الأوروبية ذات المصالح التجارية في البحر الأبيض المتوسط كبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ودول اسكندنافيا وجنوب شرق أوروبا (الكيب، ١٩٨٢، ٤٣-٤٤).

كانت القرصنة عندما تولى يوسف باشا في أهم مراحل نموها، وقد استعمل يوسف عوائد هذا النشاط من أجل تقوية كيانه وممارسة سلطته وإعادة تنظيم بحريته التي أولى قيادتها إلي مراد ريس الذي هو رجل أسكتلندي الأصل اعتنق الإسلام، كان أسمه الحقيقي بيتر لزلي وقد لعب دورًا كبيرًا في البحرية الطرابلسية إذ تدرج في الأسطول حتى تسنم أعلى المراتب (حسن، ٢٠٠٠، ج ١، ١٩٥). وقد ورصد المال اللازم لأسطوله لتنميته وتقويته فكثرت الغنائم البحرية وسيطرت بحريته على العمليات الحربية للبحر المتوسط، وتمكن يوسف من خلال أسطوله من الدفاع عن ولايته ضد اعتداءات الدولة الأجنبية (الكيب، ١٩٨٢، ٤٤؛ (الشركسي، ١٩٨٢، ١٩٩؛ أبو عجيبة، ١٩٩٧، ١٩٤).

وبما أن هذه الدول قد أدركت استحالة تجول مراكبها في عرض البحار ما لم تعقد اتفاقيات مع حكومة طرابلس الغرب فقد سعت جميعًا طلبًا لسلامة تجارتها إلى عقد الاتفاقيات إبرام المعاهدات التي كانت تتيح للولاية الحصول على مدا خيل طائلة تحتوي على أموال عينية وهدايا وتجهيزات عسكرية تصل في بعض الأحيان إلى أكثر مما كانت تحصل عليه خزينة الدولة من ضرائب الدخل التي تفرضها على أفراد الشعب وممتلكاته (أبو عجيبة، ١٩٩٧، ١٩٥).

يبدو أن نشاط يوسف لم يكن يروق للدويلات الايطالية، فقد وصف كاميللو مانفروني خبر تولي يوسف الحكم واستقرار الأمن بالولاية بأنه "قدر مشئوم على ايطاليا"، فقد انتهز يوسف باشا فرصة اندلاع الحرب مابين فرنسا وبريطانيا لسماح لرياس البحرية بإعلان حرب الجهاد البحرية من جديد مما عرض الدويلات الايطالية مثل نابولي، صقلية، وسردينيا، إلى غارات رياس البحرية

الطرابلسية وحصول باشا طرابلس على الهدايا والاتاوات السنوية من كل من اسبانيا ونابولي والبندقية مقابل منح سفن تلك الدول ضمانات السلامة، حتى لقد استطاع يوسف باشا الحصول خلال ثلاث سنوات من بداية حكمه على مبالغ مالية خيالية قدرت بنحو ٤١٠٠٠ قرش من اسبانيا ومبلغ ٥٠٠٠ قرش من نابولي، ومبلغ ٢٣٠٠ من البندقية، إضافة إلى كميات هائلة من الذخيرة والعتاد الحربي (مانغروني، ١٩٩٢، ١١٦-١١٧).

ولكن ليس معنى هذا أن السفن الطرابلسية لم تواجه متاعب أيضًا ففي عام ١٧٩٧م، تعرضت البحرية الطرابلسية لهجوم بحري دانماركي استطاع تدمير بعض السفن الطرابلسية، كما تمكنت سفن تابعة لأسطول نابولي من القيام بأعمال بحرية أتعبت الرياس الطرابلسيين (مانغروني، ١٩٩٢، ١١٧).

لم تقتصر مساهمة البحرية الطرابلسية على الرفع من المستوى الاقتصادي للبلاد فقط، فقد أدت أيضًا إلى شهرة الولاية دوليًا، إذ يعتبر نجاح طرابلس في ضمان منح مالية سنوية منتظمة من الدول الأوروبية عن طريق استغلالها لمعابر البحر المتوسط التجارية علامة على مكانتها في القوة البحرية والتي لم تقتصر على أوروبا وإنما امتدت إلى البحرية الأمريكية التي أجبرت على دفع ٤٠,٠٠٠ دولار مع الهدايا القنصلية التي قدرت بمبلغ ١٢,٠٠٠ دولار نقدًا، إضافة إلى بعض الذخيرة البحرية لضمان حماية سفنها من هجمات في البحر، غير أن هذه الاتفاقية (لسوء الحظ)، أدت إلى الخلاف بين طرابلس وأمريكا وبالتالي إلى قيام أمريكا بحصار طرابلس، ذلك الحصار الذي منى بالفشل وهزيمة أمريكا في الحرب التي أعلنتها على طرابلس سنة ١٨٠١م واستمرت حتى ١٨٠٥م، بفضل جهود البحرية ومساعدة دول المغرب العربي لطرابلس ولعل أبرز ملامح هذه الهزيمة هو أسر سفينتها "فيلاذلفيا" في أكتوبر ١٨٠٣م، ولما أتضح للولايات الأمريكية أن بحريتها غير ذات فاعلية أمام بحرية طرابلس، انتهت الحرب في يونيو ١٨٠٥م (فولايان، ١٩٨٨، ص ٥٠). أما علاقة يوسف بفرنسا، فقد كانت ودية حتى أن طرابلس رفضت الأوامر الصادرة من الباب العالي بشأن قطع المعونات التي يقدمها يوسف للقوات الفرنسية المتجهة إلى مصر، كما رفض يوسف الاشتراك في محاربة فرنسا خلال الحرب التي أعلنت ضدها عام ١٨٠٠ - ١٧٩٨م (مانغروني، ١٩٩٢، ٨).

المبحث الثالث: أبعاد وتأثيرات الغازات البحرية على أوضاع البلدان المطلة على البحر المتوسط:

خلف الصراع البحري الذي استمر بين المسلمين والمسيحيين والذي يتجاوز العشرة قرون من الزمان وراءه كثيرًا من الآثار والنتائج، سنأتي على ذكر البعض منها، بحيث لا تقتصر على طرابلس، وإنما تشمل أيضًا دول المغرب العربي وبعض الدول الأخرى التي طالتها يد الهجمات البحرية، على أن هذه النتائج تركزت بشكل خاص على دول شمال أفريقيا.

تسبب هذا الصراع في تجميد وأحيانًا إلغاء المعاهدات الودية بين المسلمين والمسيحيين، مما أدى إلى تعرض التجارة البحرية التي كانت تزاوّل مع بلدان الساحل الأفريقي للكساد (مانغروني، ١٩٩٢، ٨).

يشير بعض المؤرخين الغربيين إلى أن الحروب التي ابتليت بها بعض البلدان الأوروبية بسبب نشاط القراصنة، تسببت في تدهور الأحوال الاقتصادية لهذه البلدان، وتدمير وتخريب مبانها (مانغروني، ١٩٩٢، ٩). غير أن هذا الأمر لا ينطبق على المدن الأوروبية فقط، لأن البلدان المقابلة لها على الساحل الجنوبي للبحر تعرضت أيضًا لمثل هذا وربما أكثر، وقد يكون البحارة المغاربة ومن معهم من الأندلسيين قد تعرضوا للسلب والتدمير والقتل أولًا، لذلك فهم يردون الأذى ويأخذون الثأر نظير ذلك الهجوم، وقد يكون العكس هو ما حدث، وعلى أية حال فإن هذه الهجمات المتكررة بين الجانبين قد تسببت فعلاً في إلحاق إضرار واسعة بأشياء كثيرة.

عادت العمليات البحرية التي يقوم بها بحارة شمال أفريقيا "بما فيها طرابلس" بمكاسب ومغانم كثيرة على ولاياتهم، لكنها تسببت في سوء العلاقات بين هذه الولايات وبين الدول الأوروبية التي ازداد اهتمامها بالتجارة في البحر المتوسط في ذلك الوقت (يحيى، ١٩٧١، ٦٢). وهذا ما ترتب عليه تكاثف هذه الدول وتضامنها من أجل القضاء على هذه الحركة وإنهائها.

في إطار حركة الاسترداد والعمليات الانتقامية التي مارسها الأسبان أصاب بلدان المغرب الكثير من صنوف الدمار، فقد اندثرت كثير من المعالم الدينية بها، ووصل الأمر بهم إلى أن اتخذوا من جامع الزيتونة بتونس إسطنبولاً لخيولهم وأتلفوا مابه من نفائس الكتب وحمل بعضها إلى روما حيث أهدوها لكنيسة الفاتيكان (العيدروس، ٢٠٠١، ١١٨). اعتقاداً منهم بأنهم إن أخذوها سيطفئون نور الإسلام ويقضون على الحضارة العربية والإسلامية غير أن ظنونهم هذه خابت.

إن رغد العيش والرخاء الذي عم بعض مدن ولايات الشمال الإفريقي، والمترتب عن تدفق الأموال والغنائم التي يحصل عليها البحارة من الغارات البحرية، والتي عادت فائدتها على الأهالي، جعل هؤلاء يتمردون على الحكام، من ناحية أخرى كان ظلم الانكشاريين أيام القحط وزمن حدوث الأوبئة تسبب في حدوث عدة مشاكل كان من أهمها تعرض المدينة لحركات تمرد وعصيان، إضافة إلى محاولة المسيحيين الانتقام من المسلمين فاتسعت دائرة الفوضى وانتهى الأمر بنشوب حروب داخلية يأتي الصراع على السلطة في مقدمتها (التر، ١٩٨٩، ١٢٩).

من الناحية العمرانية، كان من نتيجة اشتداد خطر القرصنة المسيحية على المدن الإسلامية أن قام الأتراك العثمانيون والأهالي بتحسين المدن التي استقروا فيها من جهة البحر تحصيناً قوياً، وكان من طبيعة التطور

العمراني الدفاعي أن توسعت المدينة نحو الدواخل والمرتفعات ونحو السهول واستقرار السكان في المناطق البعيدة عن السواحل (التر، ١٩٨٩، ٣٧٤).

ومن النتائج المترتبة عن هذا الصراع امتداد نفوذ الدولة العثمانية إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط دون تدخل عسكري، لقد كان سبب تدخل العثمانيون هو ذلك الصراع القائم بين القوة الإسلامية والمسيحية، في هذه المنطقة هذا الصراع الذي جعل العديد من البحارة والمغامرين والذين كانوا في خدمة الأسطول العثماني بإعداد كبيرة يكونون لأنفسهم أساطيل صغيرة خاصة بهم، وجعلوا من أنفسهم مسؤولين عن الوقوف في وجه العدو الامر الذي جعل منهم أبطال، وإن كانوا في نظر العدو قراصنة بحار لا يخضعون لقوانين وأنظمة (العقاد، ١٩٨٠، ١٨). وبرز من هؤلاء البحارة شخصيات كان لها الدور الأكبر في كتابة تاريخ بلدان شمال أفريقيا، كما كان لشجاعة هؤلاء دور كبير في إجبار ثلاثة أرباع دول أوروبا على دفع ضريبة لهؤلاء البحارة.

ترتب على هجرة المسلمين من الأندلس ظهور بعض النتائج الجديدة على مجتمعات الشمال الأفريقي، حيث أثرت الحملات في سير الثقافة على العموم، فأنصرف أهل العلم إلى الجهاد أو الدعوة له بدلاً من الانقطاع للتعليم أو التعلم (جحيدر، ١٩٨٨، ٤٢١)، فقد ألقت حركة الجهاد البحري بآثارها الملموسة على النشاط الثقافي في تلك الفترة والفترات التالية، وكان للعلماء والمتصوفة أيضاً دور ايجابي في التوجيه المعنوي، هذا فضلاً عن ظهور وكتابة مؤلفات ومخطوطات عربية قيمة تتعلق بموضوع الجهاد في العصر الحديث، لعلماء أكفاء من بلدان شمال أفريقيا نذكر منهم:

أ)- الحلل البهيجة في فتح البريجة -وهي مدينة الجديدة الحالية بالمملكة المغربية- (التر، ١٩٨٩، ١٢٨؛ الجمل، ١٩٩٧، ص٤٢٥)، لمحمد بن القاسم بن محمد المراكشي المسلماني الذي كان بقاء الحياة آخر عام ١٧٧٨م.

ب)- الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد، لعبد القاهر بن أحمد المينيوي إملاق، الذي كان بقاء الحياة أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

ج)- وفي الجزائر: كان للاحتلال الأسباني لوهرا (على سبيل المثال) أثره الملموس على العلماء فخصه بعضهم بالتأليف والكتابة، وهنا نذكر كتاب "التحفة المرضية في الدولة البكداشية" لمحمد بن ميمون الجزائري، الذي يعد وثيقة هامة عن تحرير وهران الأول في عهد الداوي محمد بكداش سنة ١٧٠٨م، وألف الشيخ

(د) - وفي تونس: اهتم الدكتور علي الشابي، بدراسة الطريقة الشاذلية في بحثه "مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشاذلية" وتابعه في كتابه "العارف بالله أحمد بن مخلوف الشاذلي وفلسفته الصوفية".

(هـ) - أما في طرابلس الغرب: فإن الفترة المبكرة في تاريخها الحديث لا يزال يلفها شيء من الغموض، غير أنه قد يكون في "حولية أحمد البهلول" الضائعة والتي حفظ لنا ابن غلبون بعض نصوصها شيء من الضوء المأسوف عليه، وقد درس مؤرخون هذه الفترة مستدين في الغالب إلي وثائق الأرشيفات الأوروبية الترونت منظورهم التاريخي بلون خاص، وفي سنة ١٩٥٢م نشر عمر الباروني في طرابلس رسالة بعنوان "القديس يوحنا في طرابلس" ومحمد مصطفى بازامة في كتابه "ليبيا في ٢٠ سنة من حكم الأسبان ١٥١٠-١٥٣٠ في سنة ١٩٦٥م (جيدر، ١٩٨٨، ٤٢٤)، وهما لم يخرجوا عن إطار الاعتماد علي المصادر الأوروبية.

وقد ازدهار حركة الملاحة التجارية، كما هو الحال بين طرابلس والدويلات الإيطالية، بالرغم من تواصل الحروب البحرية، وتطور وسائل النقل البحري التي ساعدت بدورها على تشجيع حركة التجارة (مانغروني، ١٩٩٢، ٨)، فضلاً عن اهتمام الأتراك العثمانيون بأساطيلهم البحرية واهتمامهم بصناعة السفن وجعلوها مصدراً هاماً من مصادر الازدهار الاقتصادي في البلاد (أبو عجيبة، ١٩٩٧، ١٣٣).

مجل القول: إن العمليات البحرية التي كان يقوم بها البحارة الأفريقيين أثرت تأثيراً واضحاً في كافة الجوانب الحياتية لبلدان الشمال الأفريقي وتسببت في تكالب الدول الأوروبية عليها، بحجة العمل علي إيقاف هذه الغارات، لكنها في واقع الأمر جاءت لتحقيق أهداف أوسع وأعمق تأتي السيطرة علي هذه البلدان في مقدمتها.

المبحث الرابع: الموقف الدولي حيال حرب الجهاد البحرية:

يبدو أن الدول الأجنبية قد عانت الكثير من أضرار الغارات التي تقوم بها السفن التابعة لدويلات الشمال الأفريقي بما فيها السفن الطرابلسية، خاصة في عهد يوسف باشا مما جعلها تلبي طلباته باستمرار وتدفع الاتاوات والهدايا السنوية مقابل سلامة سفنها في البحر المتوسط.

ونظراً لان أعمال الغزو أصبحت لا تتماشى مع التطور التاريخي للعديد من الدول الأوروبية الكبرى، لذلك عملت هذه الدول، وبالأخص (فرنسا وبريطانيا) على محاربة هذا النشاط للقضاء عليه نهائياً (الشركسي، ١٩٨٢، ٢٠٠)، وذلك من خلال عقد العديد من المؤتمرات والمعاهدات الدولية، وأبرزها:

١/ مؤتمر فيينا ١٨١٥:

قررت الدول المتضررة من الغارات البحرية، عقد مؤتمر دولي حدد مكانه في مدينة فيينا، وقد انعقد المؤتمر أساسا لمعالجة المشاكل التي من أجلها قامت الثورة الفرنسية، وكان جدول أعمالها يشمل على الكثير من المسائل الهامة التي من بينها:

مسألة امن البحر المتوسط، حيث تعالت صيحات الشكاوى من بعض الدول الأوروبية ضد هجمات رياس السفن البحرية التابعة لدويلات الشمال الأفريقي، ولم يستطع هذا المؤتمر الذي كان قد اهتم - بناء على طلب بريطانيا- بمسألة الغاء تجارة الرقيق، أن يهمل العبودية التي كان يرزح تحتها المسيحيون الذين يأسرهم عرب أفريقيا (أبو عجيبة، ١٩٩٧، ٢٤١). على حسب ادعائهم.

كما طالب المؤتمرين بضرورة تأليف أسطول دولي تقتصر أعماله على وضع حد للغزو في البحر المتوسط، مشيرين إلى أنه من غير المعقول، أنه في الوقت الذي تبحث فيه مسألة تحريم تجارة الرقيق على سواحل أفريقيا، ألا يه تم العالم بأعمال السطو التي يقوم بها المغامرون في الموانئ الشمالية، لذلك طالبوا بهذا الأمر (أبو عجيبة، ١٩٩٧، ٢٤١).

وقد استجاب المؤتمر لهذا الطلب وأدمجه في جدول أعماله، وأصدر قرار بشأن ذلك في ديسمبر سنة ١٨١٤م، غير محدد المدة، وفي سنة ١٨١٥م أصدر المؤتمر قرارا بإلغاء الأعمال العدوانية في البحر المتوسط، واسترقاق المسيحيين، غير أن هذا القرار لم يكن له أثر، كما لم تلاق المطالب والقرارات التي كان يرغب المؤتمرين في تنفيذها، الموافقة من إنجلترا، التي عارضت جميع القرارات فضلاً على أنه لم يكن هناك دولة في الدول الكبرى تريد تنفيذه ماعدا فرنسا (ابن إسماعيل، ١٩٦٦، ١٤٣-١٤٤).

هذه المعارضة من جانب بريطانيا، أدت إلى فشل الاقتراح المتخذ بشأن تكوين فرقة عسكرية دولية للقيام بمهمة المراقبة في البحر المتوسط لوقف عمليات الغزو، ولابد من تنفيذ قرارات المؤتمر تم تكليف بريطانيا للقيام بمهمة الضغط على دول الشمال الأفريقي لإجبارها على قبول وقف الغارات البحرية (بروشين، ١٩٩١، ٢١٨).

يبدو أن بريطانيا عندما أدركت أن نفوذها لدي الباشا قد ضعف عن ذي قبل، وأصبح لفرنسا السيطرة والنفوذ المطلق، لذلك قررت الانتقام من الباشا، فعدلت عن موقفها السابق إزاء قرارات مؤتمر فيينا، خاصة بعد أن أصبحت السفن الليبية وبقية سفن دول شمال أفريقيا تمثل خطورة كبيرة بالنسبة لسفن الدول الأجنبية، وفي

مطلع سنة ١٨١٦م، توجه نحو شواطئ الشمال الأفريقي أسطول بحري، برئاسة اللورد ايكسماوث (EXMOUTH) (أبو عجيبة، ١٩٩٧، ٢٤٤)، بينما كان ايكسماوث يقود هذه الحملة، انعقد في لندن مؤتمر لتحقيق نفس غرض حملة ايكسماوث، حيث رأت بريطانيا، أنه لم يكن في مصلحتها تنفيذ هذا القرار، لأنها لو قبلت به فهذا يعنى القضاء على دول شمال أفريقيا، ويؤدي هذا إلى ضعف نفوذها في المتوسط، وحلول فرنسا محلها، وأن قبولها بالمر سيؤثر على علاقتها الطيبة مع يوسف باشا التي أصبحت تتمتع بها منذ استيلائها على جزيرة مالطا، وموافقة يوسف باشا، على تزويد هذه الجزيرة بما تحتاجه من المواد الغذائية، وبذلك أصبح لقنصلها المكانة الأولى لدى الباشا. حضر المؤتمر عدد من الدول الكبرى، لكن المؤتمر لم يؤد إلى نتيجة بسبب موقف فرنسا من بريطانيا ورفضها لتكوين قوة بحرية لمنع الغزو تكون إدارتها بيد بريطانيا، فضلاً على خشيتها من تضرر تجارتها في الشرق إزاء هذا الأمر (أبو عجيبة، ١٩٩٧، ٢٤٥).

دخل الأسطول إلى ميناء الجزائر وقام بقصف المدينة لمدة ٧ ساعات، قتل فيها عدد كبير من الأشخاص وطالب قائد الحملة، داي الجزائر بتقديم تأكيدات بوقف أعمال الغزو، ثم توجه ايكسماوث إثر ذلك إلى تونس حيث حصل أيضاً على تأكيدات بوقف وإنهاء عمليات الغزو، وعقد معاهدات مع باي تونس تتعلق بالسلام وحرية التجارة (بروشين، ١٩٩١، ٢١٨).

وفي نهاية أبريل من نفس السنة، وصل الأسطول إلى طرابلس، وبالرغم من أن القائد الإنجليزي تمكن من الوصول إلى اتفاق يقضي بالإفراج علي بضعة مئات من الأسرى المسيحيين، لكنه فشل في الوصول إلى اتفاق يقضي بوقف عمليات الغزو، فما أن غادر ايكسماوث مبحراً بأسطوله، حتى أصدر يوسف باشا أوامره إلى رؤساء بحارته بمزاولة نشاطهم البحري، ولم يمض وقت حتى تمكنوا من الاستيلاء على أربع سفن بابوية، وسفينة تجارية ألمانية قدرت حمولتها بمائة ألف قرش (ميكاي، ١٩٦١، ١٨٣)، نتيجة لذلك؛ ومع اشتداد أعمال الغزو في البحر المتوسط ضد السفن الأجنبية، احتجت الدول الأوروبية وحاولت البعض منها إنشاء أسطول صغير لتطهير البحر المتوسط من عمليات الغزو، التي تقوم بها سفن شمال أفريقيا واتخاذ إجراءات سريعة ضد رياستها (مانغروني، ١٩٩٢، ٢٤٥).

٢/ مؤتمر أكس لاشابيل (Aixlachapelle):

يبدو أن مسألة امن البحر المتوسط؛ بقيت تتأرجح بين المؤتمرات الدولية حتى عام ١٨١٨م، عندما انعقد مؤتمر اكس لاشابيل، حيث قدمت إليه كل من "روسيا وفرنسا والنمسا" اقتراحاً جديد طرح للمناقشة غير أن الدول المجتمعة لم تصل إلى اتفاق أخير، هذه المرة أيضاً، لذلك فقد تقرر بمقتضى بروتوكول ٣/ نوفمبر

١٨١٨م، بأن أي اعتداء على تجارة الدول المتعاقدة، يجب رده، ومنعه فوراً، وقد تم إبلاغ ولايات شمال أفريقيا بهذا الإنذار، ولما استمرت السفن في نشاطها البحري قررت تلك الدول المجتمعة ابلاغ يوسف باشا بقرارات المؤتمر كتابياً (ميكاي، ١٩٦١، ١٨٣)، وتم تكليف كل من إنجلترا وفرنسا بهذه المهمة، وبناء على هذا التفويض، تم تكوين فرقة عسكرية بحرية من كلا البلدين تحت قيادة كل من فريمانتل والأميرال "جوريان دي لاجرافير"، هذا الأسطول المشترك المياہ الطرابلسية في ٨ أكتوبر ١٨١٩م وقام بالاستعراض أمام سواحلها مطالباً الوقف الفوري للغارات البحرية، وقد وافق يوسف باشا على الأمر كتابياً (مانغروني، ١٩٩٢، ٢٤٥).

وقد قبل إنذار الباشا وتسلمه قرارات مؤتمر اكس لاشابيل، بارتياح كبير وبعث الطمأنينة لسفن الدول الأجنبية الصغيرة مثل توسكانيا والدول البابوية...

وغيرها من الدول، حيث حاولت التخلص من عدم دفع الإتاوات السنوية والهدايا القنصلية التي سبق لها وأن اتفقت عليها مع الباشا سابقاً (ميكاي، ١٩٦١، ١٨٤).

وفي سنة ١٨٢٥م، دخل أسطول مملكة سردينيا الصغير بقيادة فرانثيكوا سقوالي سيقوري إلى ميناء طرابلس واجبر الباشا بالتراجع عن قبض أي مبلغ مالي من قنصلية سردينيا، كما طلبت دولة الفاتيكان من فرنسا، التدخل لاحترام الفاتيكان وأرسلت مملكة نابولي أسطولاً صغيراً يتكون من ٢٠ سفينة شراعية لنفس الغرض (الشركسي، ١٩٨٢، ٢٠٠).

ومما زاد الموقف تأزماً: أن الدول المجتمعة في مدينة فيرونا أصدرت قراراً جديداً، أكد قرارات المؤتمرات السابقة، وأضاف أليها اعتبار تجارة الرقيق امراً محرماً وكارثة كبرى دمرت أفريقيا زمناً طويلاً وأسقطت هيبة أوروبا وعذبت الإنسانية وآلمتها (ميكاي، ١٩٦١، ١٤٥).

ومنذ اكس لاشابيل أخذت أعمال الغزو في الهبوط المستمر حتى زوالها النهائي، ففي عام ١٨٣١ وبعد شهر واحد من احتلال الجزائر، رست بعض الوحدات البحرية الفرنسية في ميناء طرابلس، وأرسلت إنذاراً إلى يوسف باشا طالبته فيه بدفع ديونه نحو فرنسا في خلال ٤٨ ساعة وفرضت عليه ضرورة إلغاء أمر بقايا أعمال الغزو (الشركسي، ١٩٨٢، ٢٠٠).

وبعد هذا التدخل الفرنسي توقفت أعمال الغزو بعد أن أقفلت صفحات تاريخ حرب الجهاد البحرية الطرابلسية.

يبدو أن قبول الباشا قرار إلغاء تجارة الرقيق وإنهاء أعمال الغزو البحري، قد أفقده مصدرًا من مصادر دخله المتعددة وبذلك أصبح يعاني من ضائقة مالية شديدة، خاصة بعد أن بدأت الدول الأجنبية تتخلص من دفع ما عليها من جزية سنوية، إضافة إلى ضعف أسطولها البحري من جراء تلك المعارك التي كان يخوضها هذا الأسطول تجاه سفن الدول الأجنبية، عندئذ اتجه إلى الاستدانة من رعايا الدول الأجنبية بشروط مثقلة، مما أدى بالتالي إلى التدخل الأجنبي في شؤون البلاد حينما عجز عن دفع ما عليه من ديون، فالتجأ إلى غش العملة وإتقال كاهل المواطنين بالضرائب فاجتاحت البلاد ثورات عامة كان من نتيجتها الإطاحة بحكم هذه الأسرة ورجوع البلاد إلى الحكم العثماني المباشر من جديد (ابن إسماعيل، ١٩٦٦، ١٤٩).

الخاتمة:

من خلال دراسة موضوع القرصنة في عهد يوسف باشا القرمانلي قادنا الغرض إلى جملة من النتائج يمكن إيجازها في الآتي:

١. كان اللون الديني الذي أعطاه الأسبان لحركتهم الخاصة بإعادة غزو الأندلس واسترجاعها من الحكم العربي الإسلامي "فيما يسمى بحرب الاسترداد المسيحي"، سببًا أساسيًا في أن تتبلور المعركة في شكل صراع ديني بين الصليب والهلال.
٢. كان سقوط غرناطة ١٤٩٢، ومطاردة المسلمون لقتلهم أو تعميدهم سببًا في إثارة سكان الشمال الإفريقي، وجعلهم يشهرون السلاح في وجه الأسبان لمساعدة إخوانهم في الدين، ومطاردة عدوهم ورد كيده ومطاردته حتى تغور بلاده.
٣. أن الوصف الصحيح الذي يمكن أن توصف به أعمال الغزو والحرب البحرية غير النظامية التي كان بحارة شمال أفريقيا يقومون بها، والتي يسميها الكثيرون بالقرصنة، هي في الواقع لونا من الحرب الدينية من جهة ودفاعا عن الوطن من جهة ثانية.
٤. تمكنت الدولة العثمانية من بسط سيطرتها ونفوذها على دويلات شمال أفريقيا من ليبيا شرقا إلى الجزائر غربا دون حرب أو تدخل عسكري.
٥. ترك الصراع البحري بين دول الساحل الجنوبي والساحل الشمالي للبحر المتوسط آثارا كثيرة على الجوانب الحياتية لبلدان الشمال الإفريقي وخصوصها.

٦. نظرًا لتواصل أعمال الغزو، فقد قررت الدول المعنية والتي طالتها يد هذه الغزوات الاجتماع في مؤتمر دولي لمناقشة مسألة الأمن في البحر المتوسط وقررت تأليف أسطول دولي لوضع حد للغزو فيه.
٧. بالرغم من الاجتماعات واللقاءات المتواصلة للدول الأوروبية، ومشاوراتها المكثفة في مؤتمر فيينا في سنة ١٨١٥ ف، للحد من نشاط سفن ولايات الشمال الأفريقي، غير أنها لم تتوصل إلى اتفاق إلا في سنة ١٨١٨ ف، وذلك في مؤتمر اكس لاشابيل، يقضي بإنهاء الغارات البحرية وإلغاء تجارة الرقيق.
٨. رغم أن مؤتمر اكس لاشابيل، قرر إنهاء الغارات البحرية في سنة ١٨١٨ م، إلا أنها انتهت فعليًا في سنة ١٨٣١ م، بتدخل قوي من فرنسا إثر احتلالها للجزائر، حيث طلبت من يوسف باشا إيقاف آخر محاولات الغزو.
٩. اهتمام يوسف باشا، بالأسطول تقويته واستغلاله للغارات البحرية كورقة ضاغطة على الدول التي لها علاقة بالتجارة في البحر المتوسط، وإجبارها على دفع إتاوات وضرائب جمركية وهدايا قنصلية له، نظير مرور سفنها أمام الشواطئ الطرابلسية.
١٠. فرض المعاهدات غلي دول المغرب العربي ومن بينها اتفاقية سنة ١٨٣٠ م، والتي أهمل على أثرها يوسف باشا موارده المالية. مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد، الأمر الذي ساعد على زيادة الديون، وازدادت الأحوال سوءً حتى فقد يوسف باشا سلطته في البلاد، ولم يستطع ابنه من بعده السيطرة عليها، لتعود البلاد ثانية إلى حاضرة الدولة العثمانية فتحكم من هناك.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

١. ابن إسماعيل، عمر علي (١٩٦٦). انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥. ط١، دار الفرجاني، طرابلس.
٢. بروشين، نيكولاي (١٩٩١). تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف ق ١٦ إلى مطلع ق ٢٠. ترجمة: عماد الدين حاتم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
٣. التر، عزيز سامح (١٩٨٩). الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية. ترجمة: محمداً على عامر، ط١، دار النهضة العربية، بيروت.
٤. الجمل، شوقي عطاله (١٩٩٧). المغرب الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر. ط٢، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.

٥. حسن، الفقيه حسن (٢٠٠٠). اليوميات الليبية ١٨٣٢ - ١٥٥١. ج ١. تحقيق: محمد الأسطى، عمار جحيدر، ط ٢، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
٦. سلطان، على (د.ت). تاريخ العرب الحديث ١٩١٨ - ١٥١٦. ط ١، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، د.ت.
٧. العقاد، صلاح (١٩٨٠). تاريخ المغرب العربي. ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٨. العيّدروس، محمد حسن (٢٠٠١). تاريخ العرب الحديث. ط ١، دار الكتاب الحديث، القاهرة.
٩. غرابية، عبدالكريم محمود (١٩٨٧). تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.
١٠. فولايان، كولا (١٩٨٨). ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرماني. ترجمة: عبد القادر المحيشي، ط ١، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
١١. الكيب، نجم الدين غالب (١٩٨٢). فصول في التاريخ الليبي. ط ١، الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس.
١٢. مانغروني، كاميلو (١٩٩٢). العلاقات البحرية بين ليبيا وإيطاليا. ترجمة: إبراهيم أحمد المهدي، ط ١، جامعة قاريونس - بنغازي، ليبيا.
١٣. ميكاي، رودلفو (١٩٦١). طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرماني. ترجمة: طه فوزي، ط ١، معهد الدراسات العربية، القاهرة.
١٤. الهادي، أبو عجيبة محمد (١٩٩٧). النشاط الليبي في البحر المتوسط في عهد الأسرة القرمانيّة ١٨٣٥-١٧١١، وأثره على علاقاتها بالدول الأجنبية، جامعة قاريونس - بنغازي، ليبيا.
١٥. يحيى، جلال، تاريخ المغرب الكبير. ج ٣. ط ١، دار النهضة العربية، بيروت.

ثانيًا: الدوريات:

١. النائب، محمود (١٩٩٠). "الأسطول الليبي في النصف الثاني من ق ١٨، عمليات سفن القراصنة "الليبيين في الفترة الواقعة بين ١٧٥١/٩ إلى ١٧٥٢/١". مجلة الوثائق والمخطوطات، ع ٥، س ٥، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
٢. جحيدر، عمار (١٩٨٨). "الجهاد البحري في العصر الحديث" مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ع ٥، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
٣. الحرير، عبد المولى صالح (١٩٨٥). "نظرة تحليلية لأبعاد سياسة يوسف باشا القرماني الاقتصادية على العلاقات الاجتماعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر". المجلة التاريخية المغربية، س ١٢، ع ٣٨٤-٣٧، تونس.
٤. الشركسي، محمد مصطفى (١٩٨٢). "الأزمة المالية عند نهاية العهد القرماني في رأي المؤرخين الغربيين". أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية، الجزء الأول، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
٥. وولف، جون (١٩٨٧). "رياس البحر". ترجمة: أبو القاسم سعدالله، مجلة الدراسات التاريخية، ع ٣، معهد التاريخ، جامعة الجزائر.